وزارت علوم، تحقیقات و فناوری
پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی

پایان نامۀ کارشناسی ارشد رشتۀ زبان وادبیات عربی

دراسة و تحليل القيم الخلقية في المعلقات السبع و مقارنتها مع القرآن الكريم

Draft

استاد راهنما :
دکتر علیرضا میرزا محمد

استاد مشاور :
دکتر قیس آل قیس

پژوهشگر :

فاطمه رضایی

تیر ماه 1392

كلمة الشكر والتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم وعلى الفطرة السليمة وكرّمه بالعقل والإدراك وأعلى قدره وجعل نفسه مكاناً مهمّاً ضيّقت عليها الرذائل الخناق ،ثم الصلاة والسلام على من أرسله الله لإتمام مكارم الأخلاق.

فقد تمت كتابة هذا البحث الجامعي بعون الله عز وجل و بمساعدة عدة جهات، ولذلك أقدم خالصة الشكر إلى سماحة الدكتور قيس آل قيس ، رئيس قسم اللغة العربية وأدبها، كأستاذي المستشار، و سماحة الدكتور عليرضا ميرزا محمد ،الأستاذ المشرف على هذه الرسالة لمساعدتهم بالرأي والمشورة وتبادل وجهات النظر والإرشاد إلى المصادر والمراجع المعينة.

و سعادة الدكتورة زينة عرفت بور لما أولته من اهتمام وجهد بقراءة هذه الرسالة وتقويمها لتظهر بتوفيق الله في أقوم صورة وأحسن هيئة وأدق معلومة.

كما أني لم أعدم مساعدة أسرتي و زوجي و أصدقائي الذين كانوا يحرصون كل الحرص على مساعدتي لتخرج هذه الرسالة إلى حيز الوجود.

لكم مني الشكر الجزيل والعفو والدعاء لكم في خير، والحمد لله أولاً وآخراً.

ملخص البحث

هذه الرسالة تتناول بالدراسة والتحليل القيم والقضايا الخلقية الممثلة في نصوص المعلقات السبع ومقارنتها مع القيم الخلقية في القرآن الكريم.

و قد رأيت أن أبدأ الرسالة هذه بدراسة مفهوم الأخلاق والأدب ومدى العلاقة بينهما فتبين لي أن الأدب ما هو إلا وعاء آمن وأداة صالحة حفظت لنا مظاهر وصور الأخلاق حية. ثم أدرس بواعث الأخلاق عند الجاهليين المتمثلة في الفطرة والبيئة ،وقد تتبعت الجانب الخلقي، ايجاباً وسلباً، في نصوص المعلقات السبع بمظاهره وصوره المتعددة التي ترجع في أصول الأخلاق الأربعة (العقل - الشجاعة - العدل - العفة) و كشفت لنا أن مظاهر الفضيلة عند كل شاعر هي الأغلب مما يؤكد أن الأصل في الإنسان حبّ الفضيلة ومكارم الأخلاق.

ثم تناولت القيم والقضايا الخلقية في القرآن الكريم ومقارنتها مع الأخلاق في الجاهلية ورأيت أن القرآن كيف يحرض على الفضائل وكيف يرفض الجانب المرذول من أخلاق العرب الجاهليين .

الكلمات الرئيسية: الأخلاق، الأدب، الشعر الجاهلي، المعلقات السبع، القرآن الكريم .

فهرس المحتويات

المقدمة ٦

الفصل الأول

الأخلاق والأدب

المبحث الأول: تعريف الأخلاق والأدب ١٠

- تعريف الأخلاق لغةً و اصطل..... ..... ١١
- تعريف الأدب لغةً و اصطلاحاً ١٢
- الصلة بين الأخلاق والأدب ١٤

المبحث الثاني: بواعث الأخلاق عند الجاهليين.....١٥

- البيئة الجغرافية..... ..... ١٥
- البيئة الاجتماعية والسياسية ١٦
- الفطرة ١٨

المبحث الثالث: أصول الأخلاق الأربعة ١٨

الفصل الثاني

الإطار الخلقي في المعلقات السبع

- الإطار الخلقي لمعلقة امرئ القيس ٢٢
- الإطار الخلقي لمعلقة طرفة بن العبد ٣٢
- الإطار الخلقي لمعلقة زهير بن أبي سلمى ٤٠
- الإطار الخلقي لمعلقة لبيد بن ربيعة ٥٠
- الإطار الخلقي لمعلقة عمرو بن كلثوم ٦٠

الإطار الخلقي لمعلقة الحارث بن حلزة اليشكري ٦٨
- الإطار الخلقي لمعلقة عنترة بن شداد العبسي.....٧٧
- معنى المفردات..... ....٨٤

الفصل الثالث

المقارنة بين الأخلاق في المعلقات السبع و القرآن

مفهوم الأخلاق في الإسلام ٩٢

الموضوعات الخلقية

المبحث الأول: الوفاء بالعهد والوعود والإخلاف بهما ٩٣
- أدلة الوفاء بالعهد ٩٣
- رذيلة نقض العهود والوعود ٩٥
- أنواع العهود والوعود ٩٦
المبحث الثانى: الأمانة ٩٨
- فضل الأمانة وأهميتها ٩٨
المبحث الثالث: الصبر ١٠٠
- أنواع الصبر .... .١٠٠
المبحث الرابع: الحلم والأناة ١٠٥
- فضل الحلم ١٠٥
المبحث الخامس: الإيثار ١٠٨
- مظاهر الإيثار ١٠٨
المبحث السادس: الرحمة ١١٢

فضل الرحمة وأهميتها.....١١٢
- مجالات الرحمة ١١٣
المبحث السابع: الحياء ١١٥
- انواع الحياء ١١٦
المبحث الثامن: العدل والظلم ١١٨
- أهمية العدل ومخاطر الظلم ١١٨
الخاتمة ١٢١
المصادر ١٢٢

المقـدمة

لا شكّ أن الأخلاق هي الدعامة الأولى لحفظ كيان الأمم ولهذا نرى الباحثين والفلاسفة قد اتفقت كلمتهم على ضرورتها للفرد لصالح نفسه وللمجتمع في جملته.

وإن الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة تعد الدعامة الأولى في بناء كل مجتمع سليم، والمجتمع العربي الجاهلي كغيره من المجتمعات وجد فيه الخير والشر، وحري بنا أن نقف عند المقصود بالجاهلية " هي الحال التي كانت عليها العرب قبل الإسلام من الجهل بالله سبحانه ورسوله وشرائع الدين والمفاخرة بالأنساب والكبر والتجبر وغير ذلک" (البيضاوي،ص٥٥٧) وليس معنى ذلک أن عرب ما قبل الإسلام لم تكن عندهم أخلاق كريمة ومن الجور أن نحكم عليهم بذلک وهم أحفاد إبراهيم واسماعيل عليهما السلام، وهناک حديث ورد عن رسول الله (ص) يؤكد أنهم كانوا على كثير من الأخلاق الكريمة حيث يقول:" إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق".

إن الأخلاق تتدخل في كل نشاط إنساني، من هنا تكون العلاقة القوية بين الشعر والأخلاق فكلاهما له تأثير على تقويم النفس و كلاهما يحاول أن يسمو بالفعل الإنساني إلى درجة المثالية. (الحارثي،١٩٨٩م: ص٨)

فإننا نتناول في هذا البحث الصلة بين الأخلاق والأدب-خصوصًا الشعر- وسوف نقف مع المعلقات السبع باعتبارها أطول عمل أدبي وأصحه وأجوده مما وصلنا من العصر الجاهلي وقد وقع الإختيار عليها بأنها ستنقل صورة واضحة عن النشاط الأخلاقي لدى الإنسان الجاهلي ،

حيث أن المعلقات أعلى تراث لغوي للعرب عامة ولعرب الجاهلية خاصة وهي مرآة صافية لظروفهم الاجتماعية وبيئتهم الثقافية وأخلاقهم أيضاً، ونحن عندما نتطلع بنظرة ثاقبة إلى تلک الأشعار السامية ونتعرف على حياة عرب الجاهلية، يفصح لنا عن القيم الأخلاقية عندهم وعند النظر في دواوين الشعراء السبعة نَجِدُ ألفاظاً تدل على الأخلاق والصفات الحميدة التي تبعث على المدح والثناء و أخرى تدل على الأخلاق والصفات الرديئة والسيئة التي تبعث على

الذم والهجاء ، فالمدح غرض كان يقصد به إظهار الممدوح في أحسن صورة تخلع عليه الصفات الحسنة التي تعلي مكانه، وتبرز مآثره. والفخر كان يهدف إلى إعلاء الفرد أو القبيلة بسبب ما ينفرد به عن غيرها من الصفات المثلى. والرثاء كان نوع منه يبين أن السبب في شدة اللوعة والحسرة على الفقيد هو ما يتحلى به من خصال محمودة فُقِدَت بفقده واندثرت بموته. والهجاء كان يهدف إلى سلب الصفات الجميلة من الشخص ليبدو للعيان شخصًا منفردًا لا تطمئن إليه النفس ولا تسر به العين.

سنبحث في هذه الدراسة في الإطار الخلقي في المعلقات السبع و الأخلاق في القرآن ومن ثم مقارنتها معًا.

فقد كتب الله لي وشرّفني بالالتحاق بالدراسات العليا في هذه الأكاديمية - أكاديمية العلوم الانسانية و الدراسات الثقافية - فعقدت العزم على أن أبحث فيما يخدم لغتنا العربية - لغة القرآن - فوقع اختياري بتوفيق من الله ثم رغبة و ميل في نفسي وتوجيهات سديدة من أستاذي القدير الدكتور قيس آل قيس والدكتور ميرزا محمد على اختيار موضوع رسالتي هذه(دراسة وتحليل القيم الخلقية في المعلقات السبع والمقارنة مع الأخلاق في القرآن الكريم)

أ. خلفية البحث

إن البحث في الجانب الخلقي في شعرنا العربي لم ينل ما يستحقه من اهتمام الباحثين والأدباء والنقاد رغم أن الدراسات الحديثة اتخذت من الأخلاق موضوعاً رئيساً فقد وضع أحمد أمين مؤلفاً أسماه (*كتاب الأخلاق*) ويعتبر ابن مسكويه أكبر باحث عربي في الأخلاق وله كتاب بعنوان (*تهذيب الأخلاق*) ولابن أبي الدنيا كتاب (*مكارم الأخلاق*)، كما تعرض للجانب الخلقي في الأدب العربي كثير من الأدباء والنقاد العرب قديماً وحديثاً ضمن مؤلفاتهم كابن طباطبا في (*عيار الشعر*) وقدامة في (*نقد الشعر*) وابن شرف القيرواني في (*مسائل الانتقاد*) وابن رشيق في (*العمدة في محاسن الشعر وآدابه*) وفي العصر الحديث نجد كتب النقد والأدب تشير إلى الأخلاق

ومدى التعبير عنها في الأدب حتى أن منهم من نجده يضع الأخلاق أسّاً من الأسس الجمالية في النقد العربي كما نرى ذلک عند الدكتور عز الدين إسماعيل في كتابه (*الأسس الجمالية في النقد العربي*). إلا أنهم لم يتطرقوا إلى القيم الخلقية في القصائد الجاهلية و المعلقات السبع خاصة وأيضاً لم يقارنونها مع القيم الخلقية في القرآن الكريم.

ب. أسئلة البحث

و الأسئلة الرئيسة في هذا المجال هي:

١. ما القيم الأخلاقية في الأدب الجاهلي و خاصة في المعلقات السبع ؟

٢. هل يوجد تشابه بين القيم الخلقية في المعلقات السبع و القرآن الكريم ؟

ت. أهداف البحث

و الأهداف الذي أرغبُ في الوصول إليها هي:

١. معرفة القيم الخلقية في المعلقات السبع سلباً و ايجاباً.

٢. مقارنة هذه القيم مع الأخلاق في القرآن الكريم و محاولة القول الحكيم في تأييد تلک القيم أو رفضها.

ث. منهج ومصادر البحث

هذا البحث هو دراسة مكتبية واستخدمت فيها المنهج الوصفي فلذا تحتاج إلى المكتوبات وإن مصادرالبحث تنقسم إلى قسمين: المصادر الرئيسية و المصادر الثانوية. فالمصادر الرئيسية مأخوذة من دواوين شعراء المعلقات السبع والقرآن الكريم.و أما المصادر الثانوية من الكتب المتعلّقة بهما كتواريخ الأدب العربي و شروح الدواوين و كتب الأخلاق و تفاسير القرآن الكريم.

و بعد أن جمعت المطالب فقمت على التحليل العميق عن القيم الأخلاقية في المعلقات السبع و مقارنتها مع الأخلاق الإسلامية المتمثلة في القرآن لكريم. وقد خرجت الرسالة كما يلي :

ج. هيكل البحث

- المقدمة و تحتوي على:

خلفية البحث، وأسئلة البحث، وأهداف البحث ومنهج البحث وهيكل البحث.

- الفصل الأول و قد احتوى البحث في :

أ. تعريف الأخلاق والأدب لغةً واصطلاحاً عند قدماء العرب و الباحثين المعاصرين.

ب. بواعث الأخلاق عند الجاهليين.

ت. تأطير الأخلاق عند العلماء والنقاد.

- الفصل الثاني وقد احتوى البحث في:

أ. التعريف بالمعلقات السبع .

ب. دراسة المعلقات وتبيين الإطار الخلقي فيها.

- الفصل الثالث :

أ. دراسة المضامين الأخلاقية في القرآن الكريم .

ب. مقارنة المضامين الخلقية في المعلقات السبع مع القيم الخلقية في القرآن الكريم.

- الخاتمة .

- فهرس المصادر.

الفصل الأول:

الأخلاق والأدب

تعريف الأخلاق لغة و إصطلاحاً :

جاء في *اللسان* (الخلق) بضم اللام و سكونها بمعنى الطبيعة التي يخلق بها الإنسان و هو الدين و الطبع و السجية و الجمع الأخلاق (ابن منظور ، ماده: خلق) والأخلاق جمع خُلُق أو خُلق، أي: الدين و العادة و الطبع و السجية.

و من قوله تعالى: " وإنّک لَعلى خُلُقٍ عَظيمٍ " (القلم/٤) ، أراد على عادة عظيمة.

و قد حرص الرسول الأعظم على الترغيب بمكارم الأخلاق و النهي عن كل ما يشينها فقال: " كَرمُ المرء دينُه و مروءتُه عقلُه، و حَسبُه خُلقه". (مالک بن أنس، لاتا: ص ٢٧٦ و أحمد ابن حنبل، ١٩٨٥م: ص ٣٦٥)

والخُلق مجموعة العادات و العواطف و المُثل التي تميز الفرد و تجعل أفعاله ثابتة و يمكن توقع صدورها عنه . (وهبة ، ١٩٧٤م : ص ٦٥)

و أما الخلق العظيم الذي وصف الله به محمداً (ص) فهوالدين الجامع لِما أمرالله به مطلقاً . (ابن تيمية، ١٤٠١ق، ج ١٠ : ص ٦٥٨)

الخُلق هو حال للنفس به يفعل الإنسان أفعاله بلارؤية و لاإختيار و الخلق قد يكون في بعض الناس غريزة و طبعاً، و في بعض الناس لايكون إلا بالرياضة و الإجتهاد . (يحيى بن عدي ، ١٩٨٥ م : ص ٤٧)

و ذهب على بن أحمد الجرجاني في *التعريفات* إلى أن الخلق هيئة راسخة للنفس فتصدرعنها الأفعال بسهولة و يسر من غير حاجة إلى فكر و رؤية لأنّ مَن يصدر منه بذل المال على الندور، لايعتبر السخاء من أخلاقه و كذلک مَن تكلف السكوت عندالغضب بجهد، لايقال: إن الحلم من أخلاقه. و الخلق ليس رهن بالفعل فقط فربّ شخص سخيّ لكنّه لايستطيع أن يقدّم شيئا لقلّة ماله. (الجرجاني ، ١٩٨٥م : ص ١٠٦)

تعريف الأدب لغةً وإصطلاحاً

دلّت كلمة الأدب في العصر الجاهلي على الدعاء للمأدبة ، ثم حملت بعد ذلک معنى نفسياً خلقياً شأنها شأن الكلمات الأخرى التي يبدأ معناها حسياً ثم يُنتقل بها من معناها الحسي إلى معناها النفسي الخلقي و نستشهد على معناها الحسي المادّي بقول طرفة :

نحنُ في المَشتاةِ ندعو الجَفَلى لاتَرَى الآدِبَ فينا يَنتَقِر

(الديوان، ص٥٥)

يقول الدكتورأحمد محمد الحوفي : " ثم توسعوا في معناها فاشتقوا منها ـ أي كلمة (أدب) ـ الأدب بمعنى الأخلاق الكريمة و السجايا النبيلة؛ لأنّه يأدب الناس إلى المحامد و ينهاهم عن المقابح و بين المعنيين ـ الحسي و الخلقي ـ صلة وثيقة لأنّ العرب يحيون في بادية مقفرة شحيحة الزّاد فتمدحوا بالقِرى، و بالغوا في الحفاوة بالضيف حتى تخرق فيها بعضهم فكان من الطبيعي أن ينتقلوا من معنى الأدب الحسّي المادي إلى ذلک المعنى النفسي الخُلقي ". (الحوفي، ١٣٩٢ ق:ص ٨)

وقول الدكتور شوقي ضيف: "و ربما اُستخدمت الكلمة (الأدب) في العصر الجاهلي بهذا المعنى الخلقي غير أنه لم تصلنا نصوص تؤيد هذا الظن. و ذهب نالينو إلى أنّها اُستخدمت في الجاهلية بمعنى السُنَّة و سيرة الآباء مفترضاً أنّها مقلوب « دأب » فقد جمع العرب « دأباً » على آداب كما جعلو بئراً على آبار و رأياً على آراء ، ثم عادوا فتوهّموا أن آداباً جمع أدب فدارت في لسانهم كما دارت كلمة دأب بمعنى السُنَّة والسيرة، و دلّوا بها على محاسن الأخلاق و الشيم. و هو فرض بعيد و أقرب أن تكون الكلمة انتقلت من معنى حسّي و هو الدعوة إلى الطعام إلى معنى ذهني و هو الدعوة إلى المحامد و المكارم، شأنها في ذلک شأن بقية الكلمات المعنوية التي تستخدم أولاً في معنى حسي حقيقي ثم تخرج منه إلى معنى ذهني مجازي ". (ضيف ، لاتا : ص ٨)

و إذا ما تتبعنا مفهوم الأدب في الإسلام وجدنا أن كلمة أدب تعني الخلق الحسن، يقول النّبي (ص) : " أدبّني ربّي فأحسن تأديبي ". (ابن تيمية ،١٤٠١ق،ج ٢: ٣٣٦ و ابن الأثير،١٣١١ق: ص٣)

قال الدكتور حنّا الفاخوري: "استعملت لفظة «أدب» عندالعرب للدلالة على معانٍ مختلفة فقد دلّت في عهد الجاهلية على الدعاء إلى المأدبة، كما دلّت في الجاهليّة و الإسلام على الخلق النبيل الكريم و ما يتركه من أثر في الحيا ة العامة والخاصة. ثم أطلقت اللفظة على تهذيب النفس و تعليم المرء ما أُثِر من المحامد و المعارف و الشعر. و في القرن التاسع و ما بعد استعملت للدلالة على جملة العلوم و الفنون من فلسفة و رياضية و فلک و كيمياء و طبّ و أخبار و أنساب و شعر و غير ذلک من معارف سامية تفعل في تحسين العلاقات الإجتماعية. و لمّا كان القرن الثاني عشر استعملت لفظة «أدب» في الشعر و النثر و ما يتصل بهما من نحو و علوم لغة و عروض و بلاغة و نقد أدبي. و المراد بالأدب اليوم أمران : فنّ الكتابة؛ والآثار التي يتجلي فيها ذلک الفن و من ثم يمكننا تحديدالأدب بقولنا : «الأدب هو مجموعة الآثار المكتوبة التي يتجلي فيها العقل الإنساني بالإنشاء او الفنّ الكتابي ». " (الفا خوري،١٩٩٨م : ص ٣٤)

و أمّا خير محاولة تحديد معنى الأدب ما قام به إبن خلدون في مقدمته إذ يقول : "هذالعلم لا موضوع له ... و إنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته و هي الإجادة في فنَّي المنظوم و المنثور". (ابن خلدون، لاتا : ص ٦١٢)

و لوتتبعنا مفهوم الأدب في عصرنا هذا لوجدنا أنه بدأ بشكل سطحي ضيّق فقالوا: "إن الأدب هو الشعر والنثر الفني أي: نثر الخطب و الرسائل و المقامات و الأمثال السائرة ثم الأخذ من كل شيء بطرف ". (مندور ، لاتا: ص٧)

فإطلاق كلمة « أدب » ليس على تلک الأشكال الفنية من حيث صياغتها فحسب، وإنما هي أدب لِما تتضمنه من أخلاق و آداب فإن كانت أخلاقاً حميدة كان الأدب الذي إحتواها أدباً ملتزماً رفيعاً حقيقياً ينشر و يربي في الناس الفضائلَ ، وإن كانت أخلاقاً ذميمة كان الأدب الذي إحتواها أدباً رخيصاً يجرّ الناس على الرذائل و بذلک يكون الأدب شاملاً كافة الآثار اللغوية التي تثير فينا بفضل ما احتوته من تجارب أخلاقية ثم بفضل صياغتها إنفعالات عاطفية او إحساسات جمالية.

قد عرّف الغرب الأدب بتعريفات كثيرة و من تعريفاتهم فأُخذ التعريف التالي: " الأدب صياغة فنية لتجربة بشرية". (مندور، لاتا : ص ٩)

و يعرّف محمد قطب الفنَّ و من ضمنه الأدبَ بأنّه: " محاولة البشر لتصوير الايقاع الذي يتلقونه في حسّهم من حقائق الوجود في صورة جميلة مؤثرة". (قطب،١٩٩٣ م : ص ١٥)

و هناک من يعرّف الأدب بأنّه: " الذخر الإنشائي الذي جادت به قرائح الأفذاذ من أعلام البيان و عبّروا به عن خلجات النفس ". (أحمد ، ١٩٨٣ م : ص١٣)

و يعرّفه أحمد الشايب بأنّه: " الكلام الذي يصوّر العقل و الشعور تصويراً صادقاً". (الشايب ،١٩٩٤م : ص ٣١)

و قد عرّف الأدب كثير من الأدباء و النقاد غير أنّنا نقف عند تعريف نراه شاملاً لكلّ التعريفات الأخرى و هو أن الأدب: "صياغة لغوية جمالية مؤثرة تعبر عن التجربة بمفهومها الواسع ذاتياً و إجتماعياً و إنسانياً حسياً و عقلياً و وجدانياً تتأثر بالواقع المعاش زماناً و مكاناً و ترصد ما يخلفه من آثار في نفس الأديب بحيث تكون قادرة على إثارة المتلقي و إدهاشه و إقناعه بصورة مختلفة و على أشكال متباينة و الأدب أجناس متنوعة تدخل في إطار نوعين متميزين هما الشعر و النثر و كل نوع يتفرع إلى أشكال فنية متعددة". (الشنطي ، ١٤١٥ ق : ص ٩)

الصلة بين الأدب و الأخلاق

و بعد أن و قفنا على كلّ من مفهوم الخلق و مفهوم الأدب عند العرب و المسلمين و عند غيرهم من الأمم يتضح لنا الصلة بين الأخلاق و الأدب ؛ "فما الأخلاق إلّا « عادة الإرادة » يعني أن الإرادة إذا اعتادت شيئاً فعادتها هي المسّماة بالخُلُق، فإذا اعتادت الإرادةُ العزمَ على الاعطاء سُمّيت عادة الإرادة هذه ، خلق الكرم ... الخلق صفة نفسية لاشيء خارجي أما المظهر الخارجي للخلق فيسمّى «سلوكاً» او معاملة و السلوک دليل الخلق و مظهره ". (أمين، ١٩٧٤ م: ص ٦٣)

فالأدب يصوّر تلك الإرادة و عادتها و إن كانت الأخلاق محمودة فتصورها تلك الصياغة تصويراً جميلاً حتى تجلب الناس عن تلك الأخلاق ، هذا إذا كان الخلق فاضلاً. أما إذا كان الخلق ذميماً فإن تلك الصياغة و ذلك التصوير يجسّدها تجسيداً قبيحاً حتى يكرهه الناس فيجتنبوه. و قد يجسّد الأديب خلقاً قبيحاً في صورة جميلة إذا كان من دعاة الرذائل. و ليس غير الأدب بما فيه من صياغة و تصوير يتولى ذلك فهو القناة التي تعبّرها صورة الخلق أياً كانت لتصل إلى ذهن الملتقي في صورة أدبية رائعة، عندما يكون الأدب بحكم أنّه يأدب الناس إلى المحامد و الأخلاق و يكرّه إليهم المقابح من خلال ما تحمله ألفاظه و صياغته الفنية التي تعدّ إطاراً يحوي تلك الأخلاقيات بمختلف أنواعها.

فما الأخلاق إلا مضامين رسالية اتخذت من الصياغة الأدبية قناة مختلفة ـ شعراً و نثراً ـ لتشقّ طريقها إلى أذهان الناس و قلوبهم.

بواعث الأخلاق عند الجاهليين:

- البيئة الجغرافية (الطبيعة)

كان للصحراء العربية التأثير الكبير في الإنسان العربي (ابن تلك البيئة) و سليل ظروفها الصعبة. (سالم ، ١٩٩١ م :ص ١٥٧-١٥٦)

إن الظروف الصحراوية القاسية و الصعبة في جزيرة العرب كانت باعثاً قوياً في الأخلاق العربية فقد تحمّل العربيُ الجوعَ و الظمأ فتأصل في نفسه خلق الصبر على المكاره جميعها، و قد علمته شدة الفاقة و الجوع أيضاً و خلق الكرم حيث استقرّ في نفسه الإحساس الدائم بما يعانيه المنقطعون عن أهلهم و المحرومون، كما علمته ظروف الصحراء و قطع الفيافي و القفار الموحشة أصّلت في نفسه الشجاعة التي أصبحت طبعاً فيه ممّا يجعلنا نؤمن بأنّ تلك الظروف و تلك العناصر البيئية من ماء و هواء و شمس و ضياء و أرض و سماء و خوف و أمن و جوع و شبع و ريّ و ظمأ كل تلك العناصر مجتمعة أثرت في العرب و طبعت أخلاقهم بطابع خاص حتى أن هذه الصلة الفطرية بين

ظروف الطبيعة و مشاعر الإنسان أثرت في توجيهه و ضبط حياته حتى جعلته يتخذ منها قنوات فعالة في التبعير عن أحاسيسه فمثَّل و صوّر و شبَّه فأبلغ و من الأمثلة على ذلک ؛ قول طرفة بن العبد:

و وَجهٍ كأنّ الشّمسَ ألقَت رِداءَها عليه نَقيِ اللَّونِ لم يَتَخَدَّدِ

(الديوان، ص٢٤)

و هذا يعني ما تخلعه الشمس الوهاجة على الوجوه في الجزيرة العربية من وسامة العافية و نقاء اللون. (سالم، ١٩٩١م :ص١٥٢)

و المعنى " هي ذات وجه مشرق منير كأشعة الشمس و هو وجه أبيض نقي البياض لم تشوه جماله الغضون و الشقوق". (طرفة بن العبد،١٩٩٩ م :ص٥٣)

البيئة الإجتماعية و السياسية

إنّ طبيعة الصحراء العربية السالفة الذكر التي فرضت على العرب الترحل من مكان إلى مكان قد فرضت عليهم العيش في المجتمع القِبَلي بوجهَيه الاجتماعي والسياسي" فمجتمع القبيلة يتألف من ثلاث طبقات:

طبقة الأحرار التي تتشكل من السادة و الأشراف و عملهم القتال لحماية الحيّ .

طبقة العبيد الذين جمعهم الأسر و الاسترقاق بالشراء و الاختطاف و عملهم الرعي و السقي و الاحتلاب و الاحتطاب و خدمة الأحرار.

طبقة الموإلى التي كانت تلوذ بالقبيلة القوية مستجيرة بها و منزلتها بين بين، فهي دون الأحرار و فوق العبيد شرفاً و عملاً ." (طليمات و الأشقر ، لاتا: ص٣١-٣٢)

و قد كان لهذا النظام القبلي أثره في أخلاق الجاهليين حيث أصبح لكلّ قبيلة مناقب و مُثُل أخلاقية عليا و " لم يكن النظام القبلي - على شيوعه- الشكل السياسي الوحيد في جزيرة العرب فقد

شهدت بلاد العرب إمارات صغيرة كإمارة كِندة التي كان حُجر ، والد امرئ القيس ،آخر أمرائها و إمارات كبيرة كإمارتي الغساسنة و المناذرة على تخوم الروم والفرس ". (نفس المصدر، ص٣٢)

إن أفراد القبيلة كانوا متضامنين أشدّ ما يكون التضامن و أوثقه ، و هو تضامن أحكم عراه حرصهم على الشرف و قد تكونت حوله مجموعة من الأخلاق الكريمة لعلّ خير كلمة تجمعها هي كلمة المروءة التي تضمّ مناقبهم من مُثُل الحلم و الكرم و الوفاء و حماية الجار و سعة الصدر و الإعراض عن شتم اللئيم و الغض عن العوراء ٠٠٠ و قد بعثتها فيهم حياة الصحراء القاسية و ما فيها من إجداب و إمحال". (ضيف، لاتا : ص٦٧)

و خلاصة القول في هذا الجانب هو أن البيئة العربية الجاهلية بكلّ ما يحمله هذا المفهوم من معنى أثرت تأثيراً كبيراً في أخلاق الإنسان العربي سواء أ كان ذلک التأثير إيجابياً او سلبيّاً، إلّا أننا نودّ التركيز على ذلک المجتمع القبلي ـ و هو الغالب في المجتمع العربي في الجاهلية ـ الذي سادت فيه الحروب و الغزو و السلب ممّا أدّى إلى مناصبة العداء بين القبائل في أغلب الأحيان و لكن هذا لايعني أنه لم تكن هناک صداقات و علاقات بين القبائل و الأفراد أبداً، فقد كان ذلک الأمر قائماً و خاصة بين العقلاء و الحليمين منهم، كما كانت هناک دعوات للسّلم و التذكير بويلات الحرب كما نجد ذلک جليّاً في معلقة زهير بن أبي سلمى:

و قد قُلتُما : إن نُدرِكِ السِّلمَ واسِعًا بِمالٍ و معروفٍ من القَولِ نَسلَمِ

(زهيربن ابى سلمى،٢٠٠٣م:ص٦٩)

إنّ آثار تلک البيئة في أخلاق الإنسان الجاهلي تنكشف لنا من خلال ذلک الوعاء الأمين و هو الشعر و النثر الذي حفظ لنا حياة الجاهليين و ما تتضمنه من أخلاق حميدة أو ذميمة .

فقد ملئ الشعر الجاهلي بوصف الوقائع و الحروب و المدح بالأخذ بالثأر، و الفخر بالإنتصار و الأنفة من المذلة و الإعتزاز بالقوة و الحرص على الشرف، و عدم الحرص على الحياة و المال ... و كان لهذا النوع من الحياة أثر طبيعي، وهو سيادة الأخلاق الحربية من شجاعة و كرم و وفاء.

فأطنبوا في مدحها و عدوها عنوان الرجولة و سمّوها إسماً جامعاً و هو المروءة. (الإسكندري و آخرون، ١٩٩٤م : ص٣)

و إن الظروف البيئية المتنوعة في الجاهلية أصّلت في الإنسان العربي كثيراً من المبادئ و القيم و الأخلاق التي كانت في أغلبها من الأخلاق و و المبادئ و المثل العليا ذلک أن "معيشتهم القبلية اقتضت تعاملهم بالصدق و العدل و الأمانة و بالوفاء و العفاف، فكلّ قبيلة كانت بمنزلة دولة صغيرة لها حاكمها يحكمها حكماً مستقلاً عن جميع بقية قبائل الجزيرة ". (صميدة، لاتا: ص٣٦)

الفطرة :

من خلال ما وصلنا إليه من معرفة حياة الجاهليين و تأثير البيئة في أخلاقهم يمكننا أن نشير إلى باعث آخر و هو الفطرة ، فلقد ذكرنا من قبل أن العرب كانوا يحرصون على أن تتوفر فيهم الأخلاق الفاضلة رغم ما كان يشوبها أحياناً من إنحرافات و تهوّر إلّا أن القول بفطرية أخلاقهم أمر مسلّم به ذلک أنهم ورثوا تلک الأخلاق الفاضلة من أبيهم إبراهيم عليه السلام الذي قال الله فيه : " إنَّ إبراهيمَ كانَ أُمَّةً قانتاً لله حَنيفاً وَ لَمَ يَکُ مِنَ المُشرِكينَ" (النحل /١٢٠) ، و" ولا ريب أن إمعان العرب في الفضائل يقطع بأنهم طبعوا على تقديس القيم الروحية و المثل العليا و المبادئ الخلقية حتى أشربوا حبّها ، و بغض الرذائل الدنية و هذه المزية هي أجلّ مزية تميز بها العرب على جميع الأمم الإنسانية". (صميدة ، لاتا: ص٢٩)

و قد ورد في اشعار الجاهليين ما يؤكد بأن الأخلاق الحميدة طُبِعَ فيهم ، و أمّا ما خرج منها إلى الأخلاق الذميمة فإنّ له أسباب قد يكون للظروف الاجتماعية و السياسية و الطبيعية نصيب كبير فيها ، و يقول زهير بن أبي سلمى في مدح هَرم بن سنان موضحاً أن السماحة و الندى خلق فطري فيه:

إن تَلقَ يوماً على عِلّاتِهِ هَرِماً تَلقَ السّماحَةَ منه و النّدَى خُلُقا

(الديوان، ص٤٠)

أصول الأخلاق الأربعة

و نحن نبحث الآن في تحديد الإطار الخلقي في المعلقات السبع، و تأطيراً لدراسة الجانب الخلقي في شعر المعلقات فقد وجدت أن أمهات الأخلاق و الفضائل النفسية التي تتمثل في أصول الأخلاق الأربعة عند كثير من العلماء و النقاد تمثل الإطار الخلقي في المعلقات السبع و تلك الأصول الأربعة هي:

١ -العقل (الحكمة) . ٢ - الشجاعة . ٣- العدل. ٤ - العفّة . (قدامة بن جعفر، لاتا: ص٦٦ و محمود ،١٤١٨ ق: ص٣)

و قد اشتملت المعلقات السبع على أصول الأخلاق الأربعة في مظاهر متعددة لكلّ الأصل سنبيّن ذلک في الدراسة التطبيقية.

و" نعني بالعقل (الحكمة) : حالة للنفس بها يدرک الصواب من الخطأ في جميع الأفعال الاختيارية.

و الشجاعة : كون قوة الغضب منقادة للعقل في إقدامها و إحجامها.

و العدل : حالة للنفس و قوة بها تسوس الغضب و الشهوة و تحملها على مقتضى الحكمة و تضبطهما في الاسترسال و الانقباض على حسب مقتضاها.

و العفّة : تأديب قوة الشهوة بتأديب العقل" . (محمود ،١٤١٨ق: ص٣٢-٣٣)

و من اعتدال هذه الأصول الاربعة تصدر الأخلاق الجميلة و من إفراط أو التفريط فيها تصدر الأخلاق المرذولة.

و يقول قدامة بن جعفر: " و من أقسام العقل : ثقابة المعرفة و الحياء و البيان و السياسة و الصدع بالحجة و العلم و الحلم و غير ذلک ممّا يجري هذا المجرى . ومن أقسام العفة : القناعة و قلّة الشَرَه و طهارة الإزار، و من أقسام الشجاعة : الحماية و الدفاع و الأخذ بالثأر و النكاية في العدو و قتل الأقران و السير في المهامة الموحشة و القفار و ما أشبه ذلک.

و من أقسام العدل: السماحة و التبرع بالنائل و إجابة السائل و قرى الأضياف و ما جانس ذلک" . (قدامة بن جعفر ،لاتا: ص٦٥-٦٦)

و قد اجتهد بعض الباحثين في استنباط ما يصدر من اعتدال الأصول الأربعة من أخلاق جميلة و ما يصدر من الإفراط و التفريط فيها من أخلاق رذيلة فقال :

" فمن اعتدال قوة العقل يحصل: حسن التدبير، و جودة الذهن و ثقافة الرأي و إصابة الظن، و التفطن لدقائق الأعمال. و من إفراطها تصدر اللؤم و الخسة و المكر و الخداع. و من تفريطها يصدر الحمق و الجنون .

و من إعتدال قوة الشجاعة يصدر: الكرم، والجدة و الشهامة ،وكسر النفس و الاحتمال، والحلم و الثبات و كظم الغيظ، و الوقار و التودد و أمثالها . و من إفراطها يصدر التهوّر و الكبر و العجب . و من تفريطها يحدث المهانة و الذلة و الجزع و صغر النفس .

و من اعتدال العفة يصدر: السخاء ،والحياء ، والصبر و المسامحة ،و القناعة و الورع . و من إفراطها يصدر الحرص و التقصير و الرياء و المَلَق . و من تفريطها يحدث الشره و المجانة و الحسد و الشماتة .

و أما العدل إذا فات فليس له طرفا زيادة و نقصان بل له ضد واحد و هو الجور " . (محمود ، ١٤١٨ق: ص ٣٢)

و نحن في الفصل الثاني لهذه الدراسة سوف نتخذ من الأصول الاربعة للأخلاق إطاراً كاشفاً عن أخلاق الشعراء من خلال نصوص معلقاتهم السبع .

الفصل الثاني :

الإطار الخلقي في المعلقات

السبع